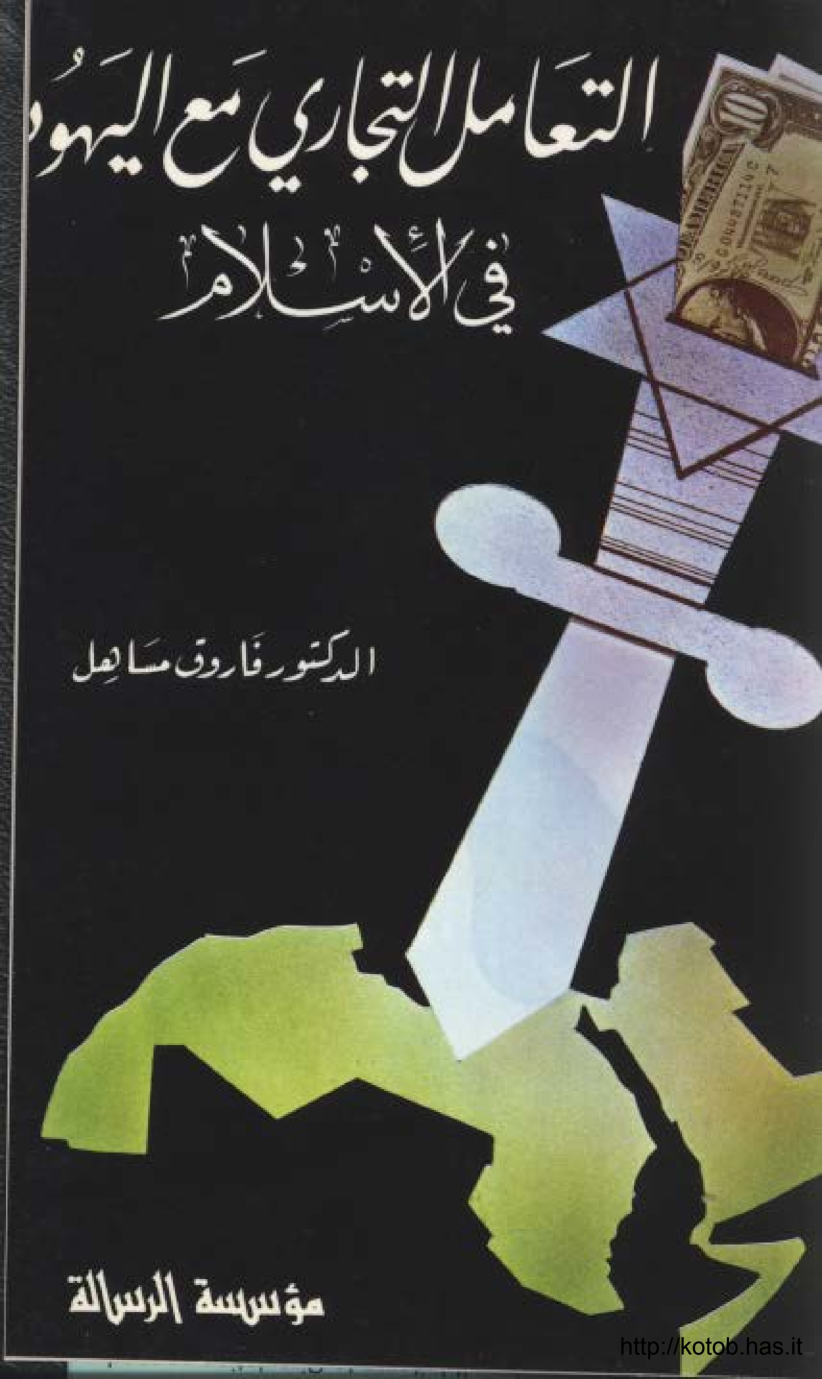

التعامل التجاري مع اليهود
في الإسلام
الدكتور فاروق مساهل
مؤسسة الرسالة

التعامل التجاري مع اليهود في الإسلام

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

الدكتور فاروق مساهل

التعامل التجاري مع اليهود في الإسلام

مؤسسة الرسالة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، النبي الأمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.

وبعد:

فلا شك في أن اليهود قد أحرزوا نجاحاً باهراً في هجمتهم على الإسلام والمسلمين، وأنهم ماضون للوصول إلى أهدافهم بكل ما أوتوا من قوةٍ ومالٍ ومكرٍ، وأن أحوال المسلمين اليوم تتيح لهم أفضل فرصة للاندفاع نحو تحقيق مآربهم وغاياتهم، ففرقة المسلمين، وانحلال ترابطهم، وتفكك وحدتهم، يغري أحقر فئات العالم بالتطاول عليهم، والنيل منهم:

إِذا أَنْتَ لَمْ تعرِفْ لنفسِكَ حقَّها
هَوَاناً بِهَا كانَتْ على النَّاسِ أَهْوَنا

والذي دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع، هو أن كثيراً من المسلمين لا يعتبرون المعركة مع اليهود معركة شاملة، ولا يقدرون التحدِّي المصيري الذي يواجهونه على أنه إما بقاءٌ وإما فناء.

والمسلمون ـ وإن كان قد حيل بينهم وبين الجهاد المسلَّح لطرد اليهود من فلسطين العزيزة في الوقت الحاضر ـ إلاَّ أنهم يستطيعون في هذه المرحلة مقاطعة اليهود اقتصاديًّا، والامتناع عن الشراء من محلاتهم ومؤسساتهم المنتشرة في كثير من أنحاء العالم، وهذا شيء باستطاعة كل مسلم القيام به

إن طريق الكفـاح يستلزم منـا درايةً ووعياً يرقى إلى عظم المسؤولية، ويتطلب تضحيات على كلِّ المستويات، وألا نستهين بأيِّ عمـلٍ مهـما كان صغيراً، طالما أنه يؤدي إلى بلوغ الهدف، ومادام يصل إلى تحقيق الغرض، وهو تحرير فلسطين من براثن اليهود.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق لنا هذا الأمل، فهو نعم المولى ونعم النصير.

فاروق مساهل

رجب ١٤٠٤ هـ

إبريل ١٩٨٤ م

القرآن الكريم واليهود

عنـدما أرسل الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريم، صلوات الله وسـلامه عليه، ليدعو لدين الإسلام، كان المشركون واليهود أكبر قوتين في بلاد العرب، وكانت استجابتهم هي صم الآذان عن دعوة الحقِّ، ومناصبتهـا العـداء، والتحـالف ضد دين الله، وإظهار البغض والكراهية للنبي ﷺ ولمن اتبعه من المسلمين.

ولقد نشبت بين المسلمين والمشركين معارك حربية مشهورة، كتب الله سبحانه وتعالى فيها النصر لدينه على الشرك والمشركين، وبإكمال الله سبحانه وتعالى للناس دينهم كانت كل القبائل المشركه القاطنة في جزيرة العرب قد أسلمت لله تعالى، ودخلت في دينه الحنيف.

أمـا رد الفعـل عِنـد اليهـود فقـد كان غريبـاً. . . فإذا كان للمشركين عذرٌ لجهلهم معنى النبوة والرسالات، فأيُّ عذرٍ كان لليهود، وهم من أهل الكتاب، ويدركون معنى البعث والنبوة؟ إنهم لم ينـأوا فقط عن دعوة السماء، بل جعلوا من أنفسهم جبهةً معـاكسـةً لرسـالة الله سبحانه وتعالى، بمفردهم، وبالتعاون مع

المشركين والمنافقين، وعلى عكس المشركين الذين استجابوا في النهاية لنداء الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، فلم يؤمن بالإسلام ويدخل فيه من اليهود إلا عدد قليل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا جاءَهُم كتابٌ من عندِ الله مُصدِّقٌ لما معهُم وكانوا من قبلُ يَسْتَفْتِحونَ على الذينَ كفَروا فلما جاءَهُم ما عرَفُوا كفَروا بهِ فلعْنَةُ اللهِ على الكافرينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

قال السُّدِّي: كانت العرب تمر بيهود، فتلقى منهم أذى، وكانت اليهود تجد نعت محمد في التوراة أن يبعثه الله فيقاتلون معه العرب، فلماً جاءهم محمد ﷺ كفروا به حسدًا، وقالوا: إنما كانت الرسل في بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل؟[1]

وهذا موقف لا ينبع إلا من قلوب حاقدةٍ، ولايصدر إلا عن نفوسٍ متكبرةٍ، ﴿اللهُ أعلمُ حيث يجْعلُ رسالتَهُ﴾[الأنعام: ١٢٤]، ولقد جعلها سبحانه وتعالى فيمن اختاره لها، وهو محمد ﷺ، دون مشركي مكة أو يهود المدينة، ومن هنا يظهر لنا متى بدأ بغض وكراهية اليهود للمسلمين، **منذ اللحظة الأولى لبدء البعثة المحمدية**.

ونزل القرآن الكريم مشتملاً على تفاصيل نشأة اليهود وتاريخهم، ووضَّح أسلوبهم في الحياة وفي معاملة الآخرين، وبين

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي ـ ص ١٧.

خباياهم وما احتوت صدورهم من كراهية وضغينة تجاه المسلمين، ووضح لنا كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بما لا يُبقي للشك مجالاً في نفوسنا، وإلى أن تقوم الساعة، أن اليهود هم أعداؤنا الألدّاء: ﴿لَتَجِدَنَّ أشدَّ الناسِ عَداوةً للذينَ آمنُوا اليَهودَ والذينَ أشركُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

جاء في «الظلال»: «فإن الأمر الذي يلفت النظر في صياغة العبارة، هو تقديم اليهود على الذين أشركوا في صَدَدِ أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؛ وأن شدة عداوتهم ظاهرة مكشوفة، وأمر مقرر يراه كل من يرى، ويجده كل من يتأمل!

نعم إن العطف بالواو في التعبير العربي يفيد الجمع بين الأمرين، ولا يفيد تعقيباً ولا ترتيباً... ولكن تقديم اليهود هنا، حيث يقوم الظن بأنهم أقل عداوة للذين آمنوا من المشركين ـ بما أنهم أصلاً أهل كتاب ـ يجعل لهذا التقديم شأناً خاصًّا غير المألوف من العطف بالواو في التعبير العربي! إنه ـ على الأقل ـ يوجِّه النظر إلى أنَّ كونهم أهل كتاب لم يغير هذه الحقيقة الواقعة، وهي أنهم كالذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا! ونقول: إن هذا «على الأقل». ولا ينفي هذا احتمال أن يكون المقصود هو تقديمهم في شدة العداء على الذين أشركوا..

وحين يستأنس الإنسان في تفسير هذا التقرير الرباني بالواقع التاريخي المشهود منذ مولد الإسلام حتى اللحظة الحاضرة، فإنه

لايتردد في تقرير أن عداء اليهود للذين آمنوا كان دائماً أشد وأقسى وأعمق إصراراً وأطول أمداً من عداء الذين أشركوا!»[1].

---

(١) «في ظلال القرآن» ـ للشهيد سيد قطب ـ ص ٩٦٠.

الرّسول ﷺ واليهود

علم اليهود أول ما علموا برسول الله ﷺ من التوراة، التي احتوت وصفه عليه الصلاة والسلام، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الذينَ يَتَّبِعونَ الرَّسولَ النبيَّ الأمِّيَّ الذي يجدونَهُ مَكتوباً عندَهُم في التَّوراةِ والإنْجيل﴾ [الأعراف: ١٥٧].

يقول ابن كثير: هذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشرَّوا أممهم ببعثته، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماؤهم وأحبارهم[١].

وعندما اقترب ميعاد البعثة المباركة، بدأ يدب النشاط في البحث عن هذا النبي المتوقع، وتحفل كتب السيرة بحوادث عديدة، نذكر منها قصة إسلام ثعلبة بن شعية، وأسيد بن شعية، وأسد بن عبيد إخوة بني قريظة، فلقد حضر رجلٌ من يهود أهل الشام يقال له: الهيبان، قبل الإسلام بسنتين، وكان رجلاً صالحاً

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير»: ٢/٥٥.

يصلّيّ ويستسقيه الناس[1]، ولمَّا حضرته الوفاة وعرف أنه ميتٌ، قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ فقالوا: أنت أعلم. قال: فإنيِّ قدمت هذه البلدة، أتوقع خروج نبيٍّ قد أظلَّ زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء، وسبْي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلماً بعث رسول الله ﷺ، وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ: يا بني قريظة، والله إنه للنبيُّ الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبان. قالوا: ليس به. قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته. فنزلوا، فأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأهليهم[2].

ولمَّا بعث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، اتَّضح سوء نيَّة اليهود، وبان مقصدهم الشرير، ولعل أبلغ ما يقال في هذا المجال هو ما روي عن أم المؤمنين السيدة صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ بن أخطب رضي الله عنها، قالت[3]: «كنت أَحَبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي ياسر، لم ألقهما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباءً في بني عمرو بن عَوْف، غدا عليه أبي حُيَيٌّ بن أخطب، وعمي ياسر بن أخطب مُغْلِسَيْنْ[4]، قالت:

---

(١) يقصده الناس فيدعو الله بنزول المطر.
(٢) «مختصر سيرة الرسول ﷺ» ـ للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.
(٣) «سيرة» ابن هشام.
(٤) الغَلَس: هو ظلمة آخر الليل.

فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالَّين كسلانَينْ ساقطينْ يمشيان الهُوَينا، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمِّ، قالت: وسمعت عمي ياسر يقول لأبي حُيَيٍّ بن أخطب: أهو هو؟ (يعني النبي ﷺ) قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته ما بقيت».

وحينما أسلم سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وقال اليهود فيه ما قالوا، قال لرسول الله ﷺ: ألم أقل لك إن اليهود قوم بهتانٍ وباطلٍ، وإنهم أهل غدرٍ وفجورٍ؟

ولقد حافظ الرسول ﷺ على عهوده مع اليهود، وكان مثالاً في الهدوء وسعة الصدر معهم، بينما كانوا يهزؤون من الدين الجديد، ويتعمدون خلال مناقشاتهم إحراج الرسول ﷺ، ولمَّا ظهر هدفهم جليًّا من وراء كل هذا، بدأ النبيُّ ﷺ بمعاملتهم بالطريقة التي يستحقونها، لأن أيَّ لينٍ بعد ذلك لن يفسرَّ على أنه تواضع وحكمة ومرونة، وإنما سيفسر على أنه ضعفٌ وتخاذلٌ وخوفٌ، والفرق بينٌ وشاسع بين التسامح ورحابة الصدر، وبين الوهن والعجز.

وامتد ردُّ فعل النبيِّ ﷺ إلى كل صغيرة وكبيرة ابتداءً من ردِّ تحيتهم بمثل ما يقولون[1] إلى محاربتهم وسبي نسائهم وأطفالهم،

---

(١) كانوا يسلمون على رسول الله ﷺ والمسلمين بقولهم: السَّام عليكم (السَّام هو الموت) فكان عليه الصلاة والسلام يرد عليهم بقوله: «وعليكم».

ثم طردهم نهائيًّا من الجزيرة العربية، ولا يحيق المكر السيِّء إلا بأهله.

ولقد أكَّد الرسول ﷺ ما جاء في القرآن الكريم من أن العداوة بين اليهـود والمسلمين هي عداوةٌ دائمـةٌ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تقوم السَّاعة حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلمُ! يا عبد الله! هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقْتله، إلا الغرقد[1] فإنه من شجر اليهود»[2].

(1) شجر الشوك.

(2) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد.

المسلمون واليهود بعد عهد النبوة

ما كان ليهـود أن تهدأ لهم نفس، أو يستقر لهم بال، حتى يكيدوا ويقضـوا على الإسـلام، بأيِّ أسلوب متاح، وبأيَّة وسيلة ميسرَّة لهم.

فلم يكن مقتل سيدنا عمر بن الخطاب إلا نتيجة تآمر يهوديٍّ فارسيٍّ مجوسيٍّ.

ولم يكن إسلام اليهودي عبد الله بن سبإ، القادم من صنعاء، حبًّا في الإسـلام، بل كان بداية ظهـور أعصف فتنـة في تاريخ الإسلام، مازلنا نلمس آثارها للآن، حيث قام بالطواف على بقاع الدولة الإسلامية بادئاً بالحجاز ثم البصرة والكوفة والشام، ليستقر في مصر، يؤلب الناس ضد أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، ثم ظهر كما تظهر الأفعى الرَّقطاء إلى فريستها، حينما أفسد مساعي القَعْقاع بن عمرو رضي الله عنه، ورسول سيدنا علي بن أبي طالـب إلى السيدة عائشـة رضي الله عنهـا، بحقن دمـاء المسلمين، وإزهاق الفتنة، وكانت النتيجة أن التهبت الخلافات

جديد، وزهقت أرواح مسلمة أخرى، وقتل سيدنا علي كرم الله وجهه.

ثم جاء دور الفرق والجماعات والأحزاب، وكان لدور اليهود، وعلى رأسهم عبد الله بن سبإ نصيب موفورٍ في تفريق المسلمين، ومحاولات تشويه وتزوير التاريخ والتراث الإسلامي.

وفي الأندلس كان لهم عبث وفساد، فلنسمع الشاعر أبا إسحاق الألبيري يخاطب صاحب غرناطة «باديس بن حبُّوس» في يهود غرناطة:

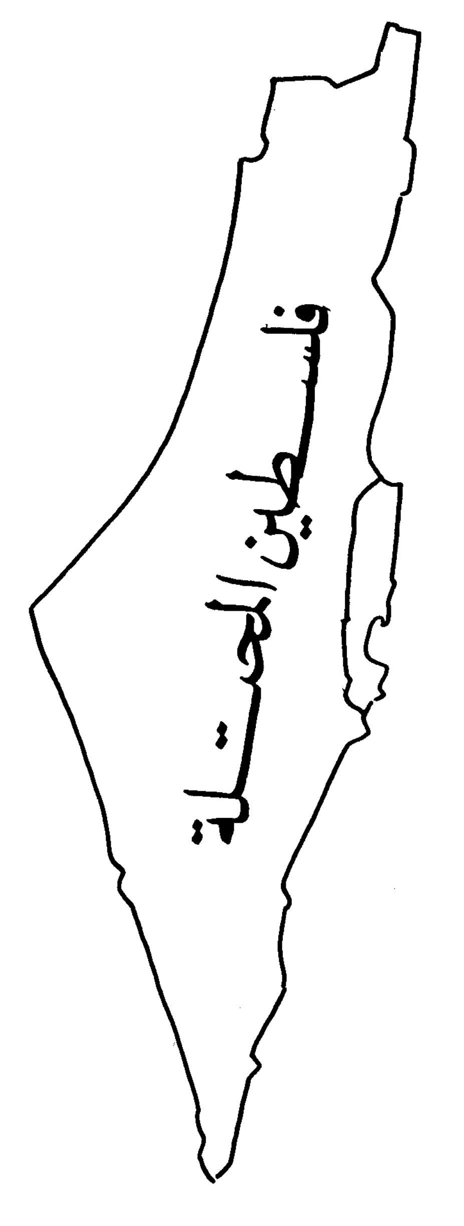
فَقَد ضجَّتِ الأرضُ من فسقِهم
وكادتْ تميدُ بنا أجْمعينْ
تأمَّلْ بعينَيْك أقطارَها
تجدهُم كلاباً بها خاسِئينْ
وكيفَ انفرَدْتَ بتقريبِهم
وهمْ في البلادِ من المُبْعَدينْ

ويستطرد الشاعر متحدثاً عن رجلٍ من اليهود وعن أتباعه المقربين لصاحب البلاد:

فصارتْ حوائجُنا عندَه
ونحنُ على بابِهِ قائمونْ
ويضحكُ منَّا ومن دينِنا
فإنَّا إلى ربِّنا راجعونْ

فبــادِرْ إلى ذبــحِــه قربــةً
وضـــحٍّ بـهِ فهـــو كبشٌ سمـــينْ
ولا تحْسَـــبَـــنْ قتـــلَهـــم غَدْرةً
بل الـــغــدرُ في تركِــهـــم يعــبـثـــونْ
وقـــد نَكـــثـــوا عهـــدَنـــا عنـــدهَـــم
فكـــيفَ نُلام على الـــنَّـــاكـــثـينْ
ونـــحـــن الأذلَّـــةُ من بينهـــم
كأنَّـــا أســأنـــا وهـــم محســنـــونْ
وراقِـــبْ إلهــك في حزبـــهِ
فحـــزبُ الإلـــهِ هم الـــغـــالـــبـــونْ

وحينـما سقـطت الأندلس بسبب غفلة المسلمين، تعرضت أوربًا لموجة من الاضطهاد الديني، وانتشرت محاكم التفتيش فيها، لم يكن لينفـــعَ اليهـود غدرهم وتـآمـرهم على دولـة الإســلام في الأندلس، فقامت الكنيسة الكاثوليكية بمعاملة اليهود في إسبانيا بكـل وحشية وعنف، فهـربـوا يحتمون في ظلِّ دولة الإسلام مرة أخرى!! وتمخضت هذه الهجرة عن قيام طائفة «يهود الدونمة» التي عملت ومهَّدت لإسقاط الخلافة العثمانية وتوطين اليهود في فلسطين.



يجب أن لا ننسى الوطن السليب

اليَهُود في وَقتِنَا المُعَاصِر

استمر اليهود على هذا المنوال حتى كالوا للإسلام والمسلمين أعنف ضربتين في العصر الحديث، وهما: إسقاط الخلافة الإسلاميَّة، واستقطاع فلسطين.

وهاتان الضربتان تسببتا في تفتيت الأمة الإسلاميَّة، ونهب ثرواتها، وإذلال واستعباد أهلها، وتشريد مواطنيها، وإجهاض كل محاولة مخلصة للأخذ بيدها، ثم عبثهم بالقدس الشريف قبلة المسلمين الأولى، وتدنيسهم لمسرى الرسول ﷺ.

ولا يمثِّل اليهود الذين نزحوا إلى فلسطين وأقاموا فيها دولتهم إسرائيل، لا يمثلون سوى خُمس يهود العالم، وهذا شيء يدعو إلى الدهشة والاستغراب، أفليست هذه أرض الميعاد التي من أجلها عملوا جاهدين طوال القرون السَّالفة، والتي بسببها أذاقوا شعوب العالم المرارة والويلات؟ أين أحلامهم بعودتهم إليها والإقامة على ترابها وريِّ أرضها بدموع ذنوبهم ومعاصيهم؟ ولماذا لم يهرعوا جميعاً بالانتقال إليها؟

لذلك سببان رئيسيَّان يعكسان طبيعة تفكير اليهود . . .

الأول: أنهم بهجرتهم جميعاً إلى فلسطين إنما يعملون كمن يضع البيض كلَّه في سلَّةٍ واحدةٍ، فإذا ما قيَّض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام مخلصين واعين من أبنائها، فما هي إلا ضربة واحدة ـ بإذن الله تعالى ـ ويتحطَّم البيض كله.

والثاني: أن اليهـود المنتشرين في أرجاء الأرض يخدمون دولة عصابتهم، ربما أفضل ممن يقيمون فيها.

فلكي يقوم اليهود بتنفيذ ما قاموا بتخطيطه نحونا، فإنهم يحتاجون إلى المال، وهذا شيء طبيعيٌّ؛ فمن عنده مال عنده كل مايريد من إمكانيات ووسائل ماديَّة تعينه على الوصول إلى مقاصده ومآربه، والمال يأخذونه بكل الطرق من الشعوب التائهة عن حقيقتهم، أو العاجزة عن النهوض لهم، ففي معظم بلاد العالم ـ وخاصة في البلدان ذات الغنى والقوة والنفوذ (وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا) ـ عمدوا إلى السيطرة على اقتصاديات تلك البلاد، وبرعوا في ذلك، وأهم مجالات حذقهم هي التجارة، وتوصَّلوا إلى أنه يمكن التحكُّم في الشعوب باحتكار شيئين اثنين يحتاجهما كل إنسان، وهما الغذاء والكساء، فقاموا باحتكارهما استيراداً وتصديراً، وأنشؤوا شبكة من المستودعات الضخمة في مختلف الأماكن للتجارة في كل المواد الغذائية والملبوسات، وكوَّنوا من أنفسهم عصبة قوية قامت على أساس المنفعة المشتركة، فأيُّ ضررٍ يحيق بواحد منهم أو ببعضهم قد يؤدِّي إلى إغراق سفينة استغلالهم، والويل كل الويل لمن يحاول

منافسة يهود في هذا الميدان.

وتعتبر تنميتهم للتجارة مع إسرائيل، وترويجهم لمنتجاتها الزراعيَّة والصناعيَّة في البلدان المتفرقين فيها، هدفاً رئيسيًّا نجحوا وتقدموا فيه. وعلى سبيل المثال كان الميزان التجاري بين بريطانيا وإسرائيل في عام ١٩٧٥م لصالح بريطانيا بمقدار ١٤٦ مليونا من الجنيهات، وبسبب جهود يهود بريطانيا، شهد هذا الميزان عجزاً في كفة بريطانيا قدره خمسة ملايين من الجنيهات عام ١٩٨١م، وبهذا تكون صادرات إسرائيل إلى بريطانيا قد زادت بمقدار ١٥١ مليوناً من الجنيهات، وحصل عدَّة يهود على جائزة الحكومة الإسرائيلية لتنمية التعاون التجاري بين البلدين، وفي عام ١٩٨١م زادت صادرات إسرائيل للعالم كله بنحو ٢٢٪ على الرغم من التضخُّم الرهيب في اقتصادها[1].

وحينما كان الانحسار الاقتصاديُّ يضغط بعنف على أعناق الدول الصناعيه متمثلاً في إغلاق المصانع، وكساد التجاره، وانتشار البطالة، كانت معظم المؤسسات والشركات اليهوديَّة تحقِّق الأرباح العالية.

وبالإضافة إلى نشاطهم الجديِّ لتقوية إسرائيل اقتصاديًّا، فإن هؤلاء اليهود يدعمونها ماديًّا ومعنويًّا، وذلك بجبايتهم للأموال المقررة عليهم، وللدعاية لدولة اليهود، وتشويه الحقائق من أجلها،

---

(١) جريدة الصنداي تلغراف اللندنية - ١٢/٧/١٩٨١م.

ووأد أي محاولـة معقـولة لإظهار الحقِّ، والضغط على الحكومات والمنـظمات والهيئـات بغـرض الانحياز إلى إسرائيل، مستخدمين أسلحـــة الـــرشـــوة والتشهير والفضـــائـــح والضغـوط السياسيَّة والاقتصاديَّة.

وعند اندلاع حربٍ بين العرب واليهود، يرسلون المتطوعين من المحاربين وغيرهم لنجدة إسرائيل.

ولا يساهم اليهود في أي مجالٍ قد يعود بالنفع على الشعوب التي يقيمون بين ظهرانيها، فليس هذا من مقاصدهم التي تشمل الإثراء على حساب هذه الأمم، ومصِّ دمائها وحقنه في شرايين دولتهم.

ومثـل هذا ما توقعه الرئيس الأمريكي بنجامين فرانكلين في خطابه عام ١٧٨٩م عندما وضع دستور الولايات المتحدة: «أيها السَّـادة: في كل أرض حلَّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا الذمَّة التجاريَّة فيها، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم، وقد أدَّى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليًّا. . . منذ أكثر من ١٧٠٠ عام وهم يندبون حظَّهم الأسيف، ويعنون بذلك أنَّهم قد طردوا من ديار آبائهم، ولكنهم أيها السادة لن يلبثوا إذا ردت إليهم الدول اليوم فلسطين، أن يجدوا أسباباً تحملهم على ألا يعودوا إليها، لماذا؟ لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض، ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم، إذا لم يبعـــد هؤلاء عن الـــولايات المتحـــدة (بنص

دستورها) فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة سنة إلى حدٍّ يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمِّروه، ويغيِّروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا، وضحَّينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية، ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظلُّ اليهود في البيوتات الماليَّة يفركون أيديهم مغتبطين»(١).

وليس هناك من أدنى شك في أن ولاء اليهوديِّ في أيِّ مكان في العالم إنما هو أولاً وقبل كل شيء إلى إسرائيل، وأنه ملزمٌ بتمويلها ودعمها، وإلا فكيف يُسمَّى باليهوديِّ؟!

وتعتبر إسرائيل أن ما في جيب اليهود في العالم من مال هو ملك لها، فإذا احتاجت، أخذت بدون استئذان، ولقد حدث ذات مرة أن طلبت إسرائيل من يهود بريطانيا إرسال ستة ملايين من الجنيهات للصرّف على عملية استخراج جثث ٦٩ بحاراً يهوديًّا هلكوا مع غرق غواصة إسرائيلية في البحر الأبيض المتوسط، ولكن يهود بريطانيا اعتبروا أن هذا الطلب ليس ذا أهمية قصوى في تلك الفترة، فغضبت إسرائيل، وأرسل زعيمها إلى يهود بريطانيا مهدداً ومتوعداً، وذكَّرهم بجملة في التوراة ينذرهم فيها بالتدمير: «لأنَّك إذا سكتَّ سكوتاً في هذا الوقت يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر، وأما أنت وبيت أبيك فتبيدون»(١).

---

(١) «غزوة بني قريظة» ـ محمد أحمد باشميل ـ ص ٣٠.

(٢) جميع الصحف البريطانية الصادرة يوم ١٤/٨/١٩٨١م.

كذلك فإن إسرائيل تعتبر نفسها مسؤولة عن كل يهود العالم، وخاصة عن حمايتهم وأمنهم، ففي أعقاب حادثٍ لمعبد يهوديٍّ في باريس، انتشرت المخابـرات الإسرائيلية في أرجـاء العالم تحرس المنشآت والمؤسسات اليهوديَّة، وتقدم النصح الأمني لها[١].

(١) أعلنت سكـوتلنـديارد وقتهـا أنها لا تكـترث بوجـود رجـال المخـابرات الإسرائيلية القادمين إلى بريطانيا طالما أنهم لا يحملون سلاحاً!!

مُقاطَعَة اليَهُود إقتِصَاديًا عَبْرَ التّاريخ الإسْلاَمِيّ

كان لليهود في منطقة يثرب (المدينة) بالجزيرة العربية سلطان سياسيٌّ وعسكريٌّ ملموس، وكانت لهم صراعات وحروب مع القبائل العربية المقيمة في تلك المنطقة، بل وكان اليهود يقتتلون فيما بينهم، حيث أدَّى كل هذا في النهاية إلى انكسار شوكتهم، بعد أن مُنوا بالهزائم المتكررة.

وقام اليهود في المدينة عقب انقراض قوتهم السياسية والعسكرية بتوسيع نطاقهم الاقتصاديِّ بين القبائل العربية، «وكان الأعراب يقصدونهم (دائماً): يبتاعون منهم ما يحتاجون، ويقترضون منهم بالرِّبا، وقد اتسعت ثرواتهم حتى صاروا ملوك المال، وعن طريق سلطان المال والثروة استعادوا شيئاً من نفوذهم الذي فقدوه، فصاروا بما لهم من تأثير اقتصاديٍّ يثيرون الفتن والحروب بين القبائل الوثنية (وخاصة في منطقة يثرب) حتى لاتتم أيَّة وحدةٍ بين هذه القبائل، لأن ذلك يهدِّد الكيان اليهوديَّ بالخطر.

وظلُّوا يوسعون من نفوذهم الاقتصاديِّ، ويشترون زعماء

القبائل العربية الوثنية بالمال»[1].

وتميزت السيطرة الاقتصاديَّة اليهوديَّة على المدينة وما حولها بالآتي:

١ ـ **التعامل بالرِّبا**: اتجَّه اليهود إلى تضعيف ثرواتهم عن طريق إعطاء القروض الربويَّة التي كانت تعود عليهم بالأرباح الطائلة، ممَّا جعلهم من الأغنياء المتميِّزين بين الأعراب، والتعامل بالرِّبا يمثل العمود الفقري لاقتصاد وتجارة اليهود: ﴿وأخْذِهُمُ الرِّبا وقد نُهوا عنهُ﴾ [النساء: ١٦١].

٢ ـ **بيع الخمور**: احتكر اليهود تجارة الخمر، فكانوا يصنِّعونها ويجلبون أنواعها المختلفة من الشام إلى المدينة وسائر بلاد العرب، وكانت لهم حانات يرتادها الناس لاحتساء الخمور فيها، ولقد اقترن رواج تجارة الخمر بالعائد من الربح الهائل على اليهود.

٣ ـ **تجارة القمح والشعير والتمر**: كان اليهود من أنشط أهل المدينة في تجارة القمح والشعير والتمور، التي تمثِّل قوت الناس الأساسيّ، يشتريه كل فرد فينتج عنه المكسب الوفير.

٤ ـ **صناعات الصياغة والنسيج والحدادة**: وهي كلها صناعات مربحة، وخاصة الذهب، وكان العرب يعتبرون الحدادة حرفةً وضيعةً يأنفون منها.

---

(١) «غزوة بني قريظة» ـ محمد أحمد باشميل ـ ص ٤٦.

وظـلَّ هذا الـوضع قائماً ـ على ما فيه من احتكار واستغلال وتحكُّم في السلع والأسعـار ـ حتى دخـل رسـول الله ﷺ المدينة مهـاجـراً، فقـرَّر الـرسـول ﷺ أن يبني سوقاً تجاريَّة للمسلمين، لاتعرف الطمع أو الجشع أو الاحتكار، فلما شاهد الناس معاملة المسلمـين في بيعهم وشرائهم وأخـذهم وعـطائهم، أقبلوا على سوقهم، وهجـروا سوق اليهـود، وبهذا قبض الرسول ﷺ بزمام الاقتصاد المدنيِّ[1]، ووجَّهه الوجهة الإسلاميَّة الحقَّة الخالية من كل استغلالٍ وجشع[2].

وهكذا أعطى الرسول القائد ﷺ مثلاً رائداً بليغاً للمسلمين في ضرب طوق الحصار والاستغلال الاقتصادي من حولهم، ليس فقط بعـدم التعـامـل مع اليهـود، بل بالعمـل على الاستقـلال الاقتصادي للمسلمين، لاسيطرة ولاتسلُّط من الآخرين.

تمَّ كل هذا والعلاقات بين المسلمين واليهود لم تكن قد بدأت بعـد في التـدهـور بسبب خيانة اليهود لمواثيقهم ومعاهداتهم مع المسلمـين، ولعـلَّ رسـول الله ﷺ رأى أن تكون للمسلمين قوة اقتصاديَّة ذاتية، كخطوة غاية في الضرورة لبناء الدولة الإسلامية.

وفرضت التشريعات الإسلاميَّة محدِّدةً مجال العمل لهذه القوة الاقتصادية الإسلامية، قائمة على الأصول الإنسانيَّة والتعاونية،

(١) نسبة إلى المدينة.

(٢) «النظام السياسي في الإسلام» ـ د. محمد عبد القادر أبو فارس ـ ص ١٤٢.

وخاليةً من الاستغلال والاحتكار.

وعلى الناحية المقابلة تسببت هذه التشريعات في انهيار الاقتصاد اليهوديِّ في الجزيرة العربية انهياراً تامًّا، وذلك بالآتي:

حرم الإسلام التعامل بالرِّبا إلى الأبد، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الذين يأكلونَ الرِّبا لايقومونَ إلاّ كما يقومُ الذي يتخبَّطُهُ الشيطانُ من المسِّ، ذلك بأنَّهم قالوا إنما البيعُ مثلُ الرِّبا وأحلَّ الله البيعَ وحرَّم الرِّبا فمَن جاءهُ موعظةٌ من ربِّه فانْتهى فله ما سَلَفَ وأمرهُ إلى الله، ومن عادَ فأولئكَ أصحابُ النارِ هم فيها خالدونَ * يَمْحَقُ الله الرِّبا ويُرْبي الصدقاتِ، والله لايحبُّ كلَّ كفَّارٍ أثيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦].

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الرِّبا وموكِّله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء»[1].

وحارب الإسلام احتكار السِّلع المصحوب بالتحكُّم في تسويقها وأسعارها لعدم وجود المنافس، فعن معمر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «لايحتكر إلاّ خاطىء»[2].

وحرَّم الإسلام الخمر، صناعةً وشرباً: ﴿ياأيُّها الذينَ آمنوا إنَّما الخمرُ والميسرُ والأنْصابُ والأزْلامُ رجسٌ من عملِ الشيطانِ

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم وأبو داوود وابن ماجة وأحمد والدارمي.

فاجتنبوهُ لعلَّكم تفلحونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وعن ابن عمـر رضي الله عنهـما قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنت الخمـر على عشرة أوجه: بعينها، وعاصرها، ومعتصرها، وبـائعهـا، ومبتـاعهـا، وحـاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها، وساقيها»[١].

وقام الإسلام بالحث على العمل وتشجيعه، ونبَّه لأهمية مادة الحديد في الحرب والسلم: ﴿وأنْزَلْنا الحديدَ فيهِ بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للنَّـاسِ﴾ [الحـديد: ٢٥]، وتعلَّم المسلمـون صناعة الدبَّابات واستخدموها في حصار الطائف[٢].

وهكـذا تحقَّق الاستقلال الاقتصادي للمسلمين، ثم ازدهر من بعد ذلك.

وعلى الرغم من تعليمات الرسول ﷺ للمحاربين المسلمين ألّا يقتلعوا الأشجار أثناء غزواتهم، إلّا أن اليهود قد استُثْنُوا من هذه القاعدة الرحيمة، حيث قام رسول الله ﷺ بتحريق وقطع نخل بني النضـير اليهـود، إهـانـةً لهم وإرعـاباً لقلوبهم، ولكي تتضاعف حسرتهم على أعزِّ أموالهم، وفي هذا إضعافهـم والتعـجيل بهزيمتهم بقطع مصدرٍ من مصادر تموينهم الغذائي، وإغلاق باب من أبواب كسبهم.

---

(١) رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجة وأحمد.

(٢) «النظام السياسي في الإسلام» ـ د. محمد عبد القادر أبو فارس ـ ص ١٤٢.

فلقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النَّضير وقَطَعَ[1]، وهي البُوَيْرَةُ[2]، فأنزل الله عز وجل: ﴿ما قَطَعْتُم من لِينةٍ[3] أو تركتموها قائمةً على أصولِها فبإذنِ الله، وليخزيَ الفاسقينَ[4]﴾[5].

جاء في «أسباب النزول» للواحديِّ: ذلك أن رسول الله ﷺ لَمَّا نزل ببني النضير، وتحصَّنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك، وقالوا: زعمت يا محمَّد أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عَقْر الشجر المثمر وقطع النخيل؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أُنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشقَّ ذلك على النبي ﷺ، فوجد المسلمون من قولهم[6]، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، فقال بعضهم: بل اقطعوا، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية المباركة[7] تصديقاً لمن نهى عن قطعه، وتحليلاً لمن قطعه، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى[8].

---

(١) أي قطع النخيل.

(٢) موضع كان به نخل بني النضير.

(٣) النخلة.

(٤) سورة الحشر: ٥.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داوود وابن ماجة والدارمي وأحمد، واللفظ لابن ماجة.

(٦) أي تأثر المسلمون من قول اليهود.

(٧) سورة الحشر: ٥.

(٨) «أسباب النزول» للواحدي - ص ٢٧٩.

ثم جاء إجـلاء اليهود عن جزيرة العرب، بعد أن نصحهم الرسول ﷺ ثلاث مرات، ثم قال لهم: «اعلموا أنَّما الأرض لله ورسوله، وإنيِّ أريد أن أجليَكم من هذه الأرض»(١).

وقام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإتمام إخراج اليهود ومعهم النصـارى من بلاد العرب، لأنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «لأخرجنَّ اليهودَ والنَّصارى من جزيرة العرب حتى لا أَدَعَ إلاّ مسلماً»(٢).

واشترى سيِّدنا عثمان بن عفَّان رضي الله عنه بئراً من يهوديٍّ كان يبيع ماءها للمسلمين.

ومقـاطعـة أعـداء الإسـلام هو أول شيء أوَّليٌّ يقـدم عليه المسلمون حتى ولو كانوا حديثي عهد بالإسلام، لأنَّه يؤدِّي إلى إضعاف العدوِّ أيًّا كان، فحينما أسلم ثُمامة بن أثال ملك اليمامة، أمر قومه أن يمنعوا المِيرَة(٣) عن قريش، ففعلوا، وحبسوا خيراتهم عن أهل مكة، ولقد أحدث هذا الحصار الاقتصادي الذي فرضه ثمامة على قريش شدةً وكرباً، فارتفعت الأسعار، وفشا الجوع في الناس، حتى خافوا على أنفسهم وأبنائهم من الهلاك(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) المؤونة.

(٤) «صور من حياة الصحابة» ـ د. عبد الرحمن رأفت الباشا ـ جـ ١ ص ١١٣.

وعلى مدى القرون كان إدراك المسلمين لمبدأ المقاطعة وعدم التعامل مع الأعداء ـ مهما كانوا ـ هو إدراك يرقى لضخامة وخطورة المسؤولية التي يشعرون بها نحو ربِّهم ودينهم وأوطانهم، «ومن ناحية أخرى يجب على المسلمين عدم إتاحة الفرصة لعدوِّهم للاستفادة من أموالهم وقدراتهم واقتصادياتهم، لأن إعانة العدوِّ بطريق مباشر أو غير مباشر معناها إضعاف حقيقيٌّ للقوة الإسلاميَّة نتيجة لزيادة قوة الأعداء بسبب ما حصلوا عليه من المسلمين، سواء كان ذلك بقصد أو بدون قصد، والأصل الحذر والاحتياط لكل طارىء، وحتى يكون استعلاء المسلمين على سائر الأمم الأخرى، لابدَّ أن يكون الإعداد للقوة كاملاً وشاملاً، ونؤكد على أن التقصير في الإعداد أو إهماله إثم دينيٌّ كبير لأنه مخالف لأمر الله، ويعرِّض المسلمين وبلادهم ودينهم للأخطار والأضرار الماديَّة والمعنويَّة، وأن هذا المعنى دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»(١).

ولقد أصدر السلطان صلاح الدين الأيوبيُّ أوامره المشدَّدة بإحكام الرقابة في الموانىء والسواحل، ومنع تصدير المواد التي تزيد في قوة العدوِّ حتى لا يتفوق الطرف المعادي على المسلمين(٢).

ولم يكن المسلمون فقط يمنعون استفادة العدوِّ منهم، بل كانوا هم المستفيدين من أعدائهم، وبلغ بهم الذكاء والإخلاص

---

(١) «جهاد المسلمين في الحروب الصليبية» ـ د. فايد عاشور ـ ص ٣٣.
(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٤.

والحـرص على تقـوية الجانب الإسلاميِّ درجةً أن الدولة الأيوبية فرضت على التجار الأجانب أن يأتوا للمسلمين بالمواد اللازمة من أجل الحرب والقتال، وإلا فإن تجارتهم سوف تتوقف[1].

وهكذا كان مفهوم المسلمين لأيِّ تعامل ينتج عنه تقوية أعداء الإسلام أنَّه حرام في الشريعة الإسلاميَّة.

إن الحرب مع الأعداء لا تقتصر ولا يجوز قصرها على ميدان القتال وحده، إنَّما هي تشمل كل جوانب الحياة، مع الأخذ بكل الأسباب التي تؤدِّي إلى إنهاك العدو وإضعافه حتى يسهل سحقه في ساحة الحرب.

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله: «ولا تحِلُّ التجارة إلى أرض الحرب إذا كانت أحكامهم تجري على التُّجار، ولا يحلُّ أن يحمل إليهم سلاح ولا خيل ولا شيء يتقـوون به على المسلمين. . قال تعالى: ﴿وأعِدُّوا لهم ما استطعتُمْ من قوةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرهبونَ بهِ عدوَّ الله وعـدوَّكُم﴾، ففـرض علينا إرهابهم، ومن أعانهم بما يحمل إليهم فلم يرهبهم، بل أعانهم على الإثم والعدوان»[2].

وحينما تخلىَّ المسلمون عن مبدأ مقاطعة العدو، وأمدُّوه أثناء الحـروب الصليبية بالجـزية والمواشي والغلال والزيوت والمنتجات

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٤.

(٢) «المحلى» لابن حزم ٧/ ٥٧٠.

الزراعيَّة مقابل أن يكفُّوا عن غاراتهم على بعض البلدان الإسلامية المجاورة لهم، فإن هذا كان له أكبر الأثر في التمكين لبقاء العدوّ على أرض فلسطين، والاستعداد لجولات سطو أخرى على المسلمين.

وتتابع القرون، ويصاب الوطن الإسلاميُّ بهجمة عاتية أخرى، هذه المرة من قِبَل يهود، الذين يحتلون الآن فلسطين وأراضي مجاورة من البلاد الإسلامية المحيطة بها، يقتلون ويشردون أبناءها، ويعيثون في البلاد المحيطة بها عبثاً وفساداً وتخريباً، يساعدهم ويدعمهم باقي يهود العالم بالمال الذي يحصُلون عليه من الأرباح الطائلة من تجاراتهم في البلدان المختلفة التي يعيشون فيها.

ولقد أدرك المخلصون من المسلمين أهميَّة المقاطعة الاقتصادية لليهود، فنشطوا مع بداية النهضة الإسلامية المعاصرة ينبِّهون الناس ويوجهونهم ضمن إطار حملةٍ منظمةٍ واعيةٍ للتصدِّي لليهود: «دعَوْنا إلى مقاطعة المحلات اليهودية في القاهرة، وطبعنا كشفاً بأسماء هذه المحلات وعناوينها، والأسماء الحقيقية لأصحابها، وذيَّلنا هذه الكشوف بهذه العبارة: (إن القرش الذي تدفعه لمحلٍّ من هذه المحلات، إنما تضعه في جيب يهود فلسطين، ليشتروا به سلاحاً، يقتلون به إخوانك المسلمين في فلسطين)، وقد وزعنا هذه الكشوف على أوسع نطاق في القاهرة والأقاليم، فكان لها دويٌّ هائل لأنها أول دعاية مسَّت العصب الحسَّاس لليهود، وقد بلغ من تأثير هذا الأسلوب في الدعاية أن علقت عليه الصحف الإنجليزية تستعدي الحكومة المصرية على مصدري المنشورات.

وإتماماً لفضح الخطة الصهيونيَّة أصدرنا رسالة أو كتيباً صغيراً يضمُّ أسماء الصحف اليهودية التي يصدرونها في أنحاء العالم، والبلد الذي تصدر فيه كل صحيفة، والأسماء التي يتسترَّ خلفها أصحابها الحقيقيون من اليهود ووزعنا هذا الكتيِّب على أوسع نطاق.

ومع أن الحكومة المصريَّة مدفوعة من الإنجليز قد جرَّدت حملات قويَّة لمصادرة هذه المنشورات بالذات، إلا أنها لم تتمكن من الوصول إلى شيء منها، وكانت تفاجأ برؤيتها في أيدي الناس في الشوارع والمحلاّت، وفي المدارس والمعاهد والجامعة، وكان كبار موظفي الدولة والوزراء يذهبون في الصباح إلى مكاتبهم، فيجدون هذه المنشورات عليها...»[1].

وتتجدَّد هذه الحملة المخلصة لتوعية الناس بخطر التعامل التجاريِّ مع اليهود مع محاولات التطبيع بين مصر وإسرائيل، «قاطعوا اليهود في كل شيء، في كل ميدان، في كل اتجاه، في كل تفكير. لاتحبُّوهم لأنهم ظالمون، ولا تستقبلوهم لأنهم مفسدون، أشعروهم أنهم غير مرغوب فيهم، أنهم دخلاء، أنهم مستغلون، أنهم ما جاؤوا لإحياء صداقة، ولكنهم جاؤوا لخراب البيوت. ضيِّقوا عليهم الخِناق في المجالات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، قاطعوا بضاعتهم واشتروا غيرها ولو بأفدح الأثمان، حتى ولو كانت دونها

---

(١) «الإخوان المسلمون ـ أحداث صنعت التاريخ»: محمود عبد الحليم جـ ١ ص ١٧٣-١٧٤.

جودةً ومكانةً، ألقوا عليهم درساً. . .»[1].

وتستمر هذه الخطة الهادفه لتبصير النَّاس بما يعنيه تعاملهم مع اليهـود اقتصاديًّا، وما عليهم أن يعملوه، «أقبلوا على بضاعتكم المصريَّة وإن كانت أردأ من الصناعة اليهوديَّة. لاتضعوا أموالكم إلا في بنوك مصريَّة وإن كانت معاملتها أصعب من البنوك الأجنبيَّة، لاتعملوا عند اليهود أبداً وإن أعطوكم أجراً مضاعفاً، أقبلوا على صناعاتكم الوطنية وإن ارتفع ثمنها»[2].

كذلك فإن جامعة الدول العربية أنشأت مكتباً لها في مدينة دمشق ليتولىَّ تنسيق المقاطعة الاقتصادية للعدوِّ اليهوديِّ، بحيث لا يتم التعـامـل في أيِّ اتجاه بين العرب وبين إسرائيل ومن يعاونها اقتصاديًّا، ووضعت قوانين جمركية لمنع استيراد سلعة من مكان آخر إلا إذا كانت مصحـوبـةً بما يبيِّن منشأها، وبما يثبت أن المؤسسة المنتجة لها لا تتعامل مع إسرائيل، وأعتقد أن الشرط الأخير يحتاج إلى تدقيق وتمحيص، حيث إن كثيراً من أصحاب البيوت التجاريِّة والصنـاعيَّة اليهـوديَّة يتسمَّوْن بأسماء مواطني البلاد المختلفة التي يقطنون فيها.

وكثـير من العـائـدين لأوطـانهم العـربية بعد رحلة للتسوُّق خارجهـا يزيلون شعـارات المحلاَّت اليهوديَّة من على الملبوسات وغيرها حتى لا يتمَّ مصادرتها عند ميناء الوصول.

---

(١) مقال افتتاحي: مجلة الدعوة القاهرية للأستاذ عمر التَلِمْساني ـ العدد ٦٠ ـ جمادى الاخرة ١٤٠١هـ.

(٢) مجلة الدعوة القاهرية: العدد ٤٠ ص ٥٧ ـ شوال ١٣٩٩هـ.

الشّرك التجَاريّ اليَهُوديّ

إن المتتبع للأسلوب التجاري لليهود يجده واحداً في كلِّ مكان، فلقد وجدوا من خبرتهم ومعرفتهم بنفسيَّات الناس أنه ليس مُريد السلعة هو الراغب في الشراء فقط، بل إن كل من معه نقود يمكن إغراؤه على الشراء إذا ما قاموا بالدعاية اللازمة للسلع المعروضة للبيع، وصحبوها خاصةً بخفض أثمانها، فتجدهم يملؤون وسائل الإعلام بإعلانات جذَّابة، يشترك في وضعها متخصِّصون في علم النفس ومعرفة تأثير الإعلان على الجماهير، الذين يندفعون لشراء سلعة يعرف الكثيرون منهم أنهم ليسوا بحاجة إليها.

أمَّا مسألة خفض ثمن البيع، فهذا لاشك يجذب المشترين من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، فكل راغب بالشراء يريد دفع أقل سعرٍ فيما يشتريه، ولكن الخدعة هنا أنه على الرغم من بيع سلعةٍ أو أكثر ممَّا يحتاجه غالبية المشترين بسعرٍ أقلَّ من مثيلاتها في محلٍّ آخر، فإن أسعار باقي السلع تكون مرتفعة عن مثيلاتها في أماكن أخرى،

وتكون محصلة التسوُّق أن المشتري ـ في الغالب ـ لا يشعر بأية منفعة مادية تذكر.

ونظراً لأن معظم مستودعات الطعام والملابس يعتمد على نظام «اخدم نفسك» ممَّا يوفِّر على أصحابها أجور كثير من المستخدمين، فهي أيضاً كبيرة وواسعة، والجوُّ بداخلها إما دافىء في الشتاء، أو منعش في الصيف، فيقصدها الكثيرون لتضييع الساعات الطوال أثناء تسوُّقهم فيها.

وهناك ظاهرة نسمع عنها... هذه المستودعات تفقد قدراً لا بأس به من بضائعها عن طريق السرقة، سواء بواسطة عمالها، أو بواسطة زبائنها؛ ولما كانت عملية اكتشاف السارقين ـ باستخدام أجهزة المراقبة أو باستعمال المراقبين ـ تمثِّل عملية مادية مضنية لأصحاب هذه الأماكن، ولا تؤدي دائماً بالنتيجة المطلوبة منها، فإن هؤلاء المراقبين ـ الذين يشترك بعضهم في هذه السرقات ـ يعمدون للبحث من كبش فداء يزيحون به التهمة عن أنفسهم، ويثبتون لمستخدميهم أنهم متيقظون ويؤدُّون أعمالهم بدقة وأمانة[1].

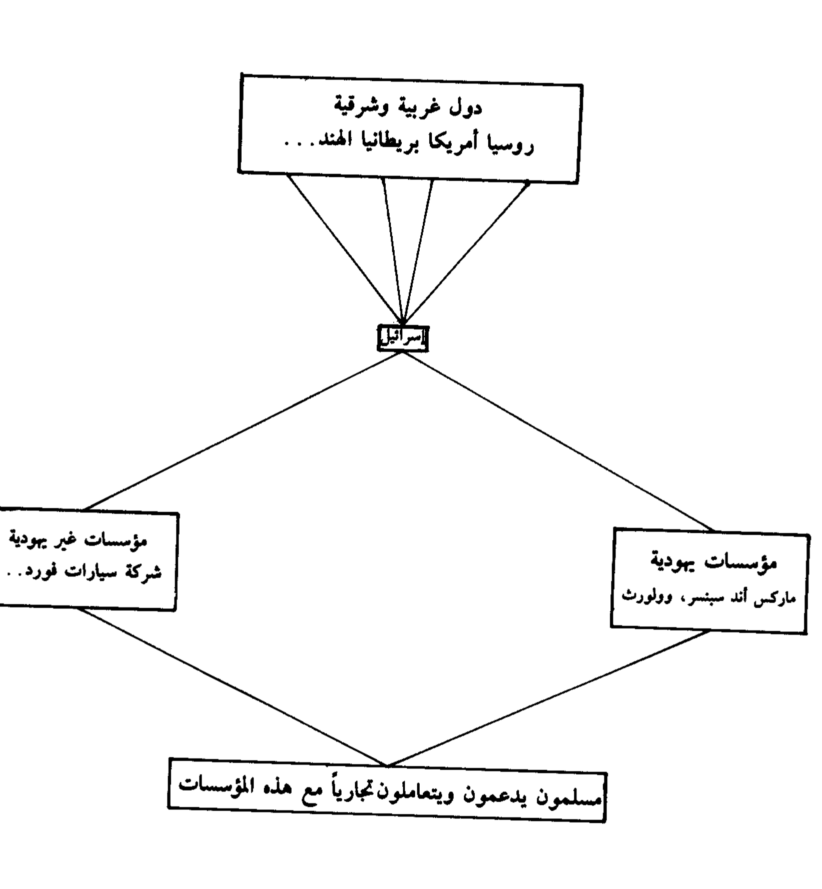
وفي أحوالٍ كثيرةٍ يكون كبش الفداء هذا من المسلمين، وبالذات من نسائهم، وتغري القوانين في بعض الدول المتَّهمين بالسرقة من المحلات التجاريَّة على الاعتراف بالسرقة مقابل غرامة

---

(١) أكبر سوق يهودي في العالم هو شارع أكسفورد في مدينة لندن، ويفقد هذا السوق سنويًّا بضائع بقيمة خمس مئة مليون جنيه استرليني، وبه لجنة تتولى شؤون أمن محلاته يرأسها يهودي.

معيَّنة، وإلا تعرَّضوا لإجراءات قضائية باهظة في تكاليفها، خاسرة في نهايتهـا، ثم تقـوم الصحف اليهـوديَّة في الصباح التالي بنشر تفاصيل الحادث في أماكن بارزة من صفحاتها، ولقد أدَّى هذا إلى إصـابـة الشرفـاء والشريفـات بصـدمـات نفسيَّة عنيفة اضطرت معظمهم للانطواء على أنفسهم، بل واعتزال الناس والمجتمع كلية.

ويعتمد نظام البيع بطريقة الأقساط الشهريَّة في هذه المحلات على القاعدة الربويَّة، فإذا ما أعلن واحد منها عن البيع بدون ربا فإنَّـه يكـون قد أضاف إلى أصل ثمن السلعة قيمة ما قد يكون سيحصل عليه من ربا دون إظهار ذلك للمشتري الذي ينخدع بوجود عبارة «بدون ربا» في عقد البيع.



كيف يشترك المسلمون في دعم إسرائيل

تبريرات واهية

يحاول كثير من المتعاملين مع اليهود تعليل ما يقومون به، ويسوقون الحوادث والحجج التي يظنّون أنها تقوم مقام الدليل على صحة تصرفهم.

ولعلَّ الحادثة التي دائماً يردِّدونها هي حادثة وفاة رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهوديٍّ، ومنها يستدلون على جواز التعامل مع اليهود.

وهذه القصة معروفة في كتب السيرة المباركة، وقد رواها الأئمة؛ البخاريُّ ومسلم ومالك وأبو داوود والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجة وأحمد والدارميُّ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

والرهان مذكور في القرآن الكريم: ﴿وإنْ كنتُمْ على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهانٌ مقبوضةٌ﴾[1] [البقرة: ٢٨٣]، وكان الرهان وقتها معروفاً ومتفقاً عليه، وهو أن يودع المرء شيئاً له قيمة لدى المرتهن،

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنه: أو وجدوا الكاتب ولم يجدوا قرطاساً أو دواةً أو قلماً، فيكون الرهان ـ «مختصر تفسير ابن كثير».

مقابل شيءٍ يستعيره أو يشتريه لأجل، ثم يستعيد ما رهنه عند ردِّ المُعار أو دفع المال المؤجَّل.

وواضح أن الرهان بهذه الطريقة عمل تعاونيٌّ مشروعٌ، فيه فكٌّ لأزمة الراهن دون ما فائدة تعود على المرتهن، وإن كان يجوز للمرتهن الاستفادة من المرهون، إن كان هذا ممكناً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الظَّهْرُ[1] يُرْكَبُ بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدَّرِّ[2] يُشْرَب بنفقته إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة»[3].

وحينما أرسل النبيُّ ﷺ بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، لقتل اليهوديِّ كعب بن الأشرف، وتظاهروا له بطلب سلفة، اشترط عليهم اليهودي أن يرهنوه نساءهم، فاعتذروا، فطلب منهم أولادهم رهاناً، فاعتذروا أيضاً، وعرضوا عليه سلاحهم فوافق.

أما الآن فالوضع غير الوضع، والحال غيره بالأمس، فاليهود يحتلُّون أرضنا، ويسفكون دماءنا، ويستحلُّون حرماتنا، فهل نقوم بعد كل هذا بإعطائهم أموالنا لنقويهم بها على التمكن منا، والنَّيْل من ديننا؟ أين عزَّة المسلم التي أرادها الله سبحانه وتعالى لنا: ﴿ولله

---

(١) الفرس وكل ما يركب.

(٢) لبن الدَّرِّ: أي لبن ذات اللبن.

(٣) رواه البخاري وأبو داوود والترمذي وابن ماجة وأحمد.

العزَّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ﴾ [المنافقون: ٨]؟.

وفي هذا يقول شهيد الإسلام سيِّد قطب: «وصدق الله فجعل العـزة صنو[1] الإيمان في القلب المؤمن، العزَّة المستمدة من عزته تعالى، العزة التي لا تهون ولا تهن، ولا تنحني ولا تلين، ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان، فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة...»[2].

نعم؛ أين عزَّة المسلم حتى في أدقِّ الأمور والمعاملات اليوميَّة مع غير المسلمين: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطرُّوه إلى أضيقه»[3].

وبالإضافة إلى حادثة رهن درع الرسول ﷺ عند يهودي فإن سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رفع الجزية عن مساكين أهل الكتاب، وقرَّر للمسنِّين منهم معاشاً بسبب شيخ يهوديٍّ ضرير.

إنَّ هذا الأسلوب في التعامل له ما وراءه من إظهار جوانب العدل والإنسانية في الإسلام، وإلا فما الذي كان يمنع رسول الله ﷺ من الفتك باليهوديِّ الذي كان يُلقي بالقاذورات كل يومٍ أمام بيته عليه الصلاة والسلام؟ لقد عاده النبيُّ ﷺ في داره عندمامرض

---

(١) صِنْو: شقيق. وأصله النخلتان تخرجان عن أصل واحد. ومنه صنوان.

(٢) «في ظلال القرآن» ـ سيد قطب: جـ ٦ ص ٣٥٨٠.

(٣) رواه مسلم.

في يوم لم يلقِ فيه بالقاذورات كعادته، فشهد له اليهوديُّ بالنبوة وأسلم من لحظته.

وجليٌّ أن الرسول ﷺ كان يتحمل الأذى الشخصي لأن ذلك من خصائص الأنبياء، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأنيِّ أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومُه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1].

ولكن حينما يعتدي اليهود على حرمات الله سبحانه وتعالى، وعلى حرمات المسلمين من دم أو مال أوعرض، فإن هذا التحمُّل يختفي، ويحلُّ محلَّه الذبح والسبي والطرد.

إن رسـول الله ﷺ رهن درعـه عند اليهوديِّ في وقت كانت جزيرة العرب كلُّها قد دانت له، وكان يمكن للنبيِّ ﷺ أن يحصل على قوت أهله من الطعام من تجَّار المسلمين أو من الموسرين من الصحابة الأجلّاء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولكنه لم يفعل، لحكمة أرادها عليه الصلاة والسلام.

وهذا أيضاً ما فعله سيدنا عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه، أظهـر جانب الشفقـة على اليهـود المسنِّين والعاجزين، بينما كان يستكمل طرد اليهود من الجزيرة العربية، ومنعهم حتى من الإقامة عند بيت المقدس بعد أن فتحه الله سبحانه وتعالى على يديه.

---

(١) رواه مسلم.

والذي نستخلصه من حادثة رهن الدرع عند اليهوديِّ هو أن ذاك اليهوديَّ كان من أهل الذمَّة، رضي أن يعيش بين المسلمين في ظل الدولة الإسلامية يدفع الجزية، فله ما لنا وعليه ما علينا، ولو كان قد أظهر أدنى عداء لله أو لرسوله أو للمؤمنين لكان جزاؤه إمَّا القتل أو الطرد، كما حدث لبني ملَّته.

ويفـرِّق بعض المسلمـين بين اليهود الذين يعلنون تأييدهم ودعمهم لإسرائيل، ويضربون مثلاً لذلك بمحلات (ماركس أند سبنسر) اليهـودية المعروفة في أوربًا وأمريكا الشماليَّة، والتي ترسل مئات الملايين من الجنيهات سنويًّا تبرعاً لإسرائيل (وهي المحلات التي أنتجت سراويل للرجال مطبوع عليها «لا إله إلا الله»)، ويقوم صاحبهـا بتنـظيم هجرة اليهود إلى إسرائيل، وبين المحلات التي لاتعلن عن تأييدهـا لإسرائيل، ويرى هؤلاء المسلمـون بحـرمـة الشراء من المجموعة الأولى، بينما يجيزون التعامل مع المجموعة الأخرى.

حقيقـةً إن هذه بسـاطة قاتلة، وإهانة صريحة لذكاء المسلم وفـطنتـه، ومحاولة واضحة لتبرير التعامل التجاري مع مؤسسات اليهود، وتقسيمها إلى صقور وحمائم، فليس في قاموس اليهود شيء اسمه حمائم، بل وحوش كاسرة لا هدف لها إلا الانقضاض على المسلمين والقضاء عليهم.

والـذين لا يعلنون عن دفع حصتهم لإسرائيل من اليهود،

يعتقدون أنهم طالما يؤدّون واجباً أساسيًّا فهم لا يحتاجون إلى دعاية أو ظهور، ومن أمثلة هؤلاء الذين لم يسمع هؤلاء المسلمون عنهم، صاحب محلات أحذية «ك» (K Shoes) الذي وصل إلى بريطانيا معدماً، ولما مات (١٩٧٦م) ترك وراءه مئة وخمسين محلًّا لبيع الأحذية التي تنتجها مصانعه، وترك من النقد السائل مئة مليون من الجنيهات، أوصى بثمانين مليوناً منها إلى دولة إسرائيل!!

وهل سمع هؤلاء المسلمون أيضاً عن ذاك المتسول اليهوديِّ الذي وصل إلى بريطانيا من إحدى دويلات بحر البلطيق، واستطاع أن يبني ثروة هائلة في مدة وجيزة من صناعة وتجارة الملبوسات، وأصبح صديقاً للعائلة المالكة التي أنعمت عليه بلقب (لورد)، وكان الوحيد الذي يدخل مقرَّ رئيس الوزراء البريطاني بدون استئذان، ثم أصبح رئيس الوزراء ذاك (هارولد ويلسون) من أخلص وأنشط خدم إسرائيل، بل وبعث ابنه متطوعاً في جيشها، بينما كان هذا اليهوديُّ يخادع مصلحة الضرائب مهرباً أمواله إلى النمسا للصرف على معسكر اليهود النازحين إلى روسيا في طريقهم لإسرائيل، وحينما أرادت السلطات إلقاء القبض عليه فرَّ هارباً إلى إسرائيل[1].

وهل نسينا هذا اليهوديَّ الذي هرب من العراق ومعه أربع مئة

---

(١) القصة كاملة على حلقتين في صحيفة الصنداي تايمز ١٢، ١٩/ ٧/ ١٩٨١م.

مليون جنيه ليفتتح محلات «عناية الأم» (Mothercare)، ثم نذهب ونتعامل معه؟ يهوديٌّ يدعم إسرائيل، ومهرِّب لأموال المسلمين ونشجِّعه على ذلك؟

والأمثلة كثيرة.

وإنَّما القصد هو إيضاح دعم يهود العالم - المتبجِّح منهم والصامت - لإسرائيل.

ويحتجُّ كثير من المسلمين بأنه لا يجوز الحجْر على أموالهم، فهم أحرار فيها ينفقونها كما يشاؤون، حتى ولو كان في الشراء من عند اليهود.

ويظهر أن الأمر مختلط على هؤلاء المسلمين، فالمال هو مال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَن يرزقُكم من السماواتِ والأرض، قل الله﴾ [سبأ: ٢٤]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وأنْفِقُوا ممَّا جعلَكم مُسْتخْلَفينَ فيه﴾ [الحديد: ٧].

فالمال هو مال الله سبحانه وتعالى لأنه هو خالقه، ولكن الله جل وعلا جعلنا خلفاء بالتصرف فيه(١)، وهذا من أحد جوانب استخلاف الإنسان في الأرض.

فإذا كان الوضع كذلك، فهل من الجائز إنفاق هذا المال في إنعاش عدوِّنا، وتمكينه من أنفسنا وأهلينا؟

---

(١) «صفوة التفاسير» جـ ٣ ص ٣٢١.

ثم هل ضَمِنَّـا استمرار تدفُّق المال في أيدينا؟ وماذا سنفعل ونحن نسيء استعـمال نعمـةٍ من نعم الله سبحـانـه وتعالى علينا بمساندتنا لمن حادَّ الله ورسوله، عندما يحرمنا الله سبحانه وتعالى من خلافته لنا في ماله، سواء بقطعه عنا أو بالعجز عن اكتسابه؟

وبماذا نجيب ربنا سبحانه وتعالى يوم الحساب ـ يوم لا ينفعنا مالنا ـ عندما يسألنا تعالى عن أوجه صرف ما استخلفنا فيه: المال؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لن تزولَ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمٍ ماذا عمل فيه»[1].

فبماذا سيردُّ الفرد على سؤال ملك الملوك؟.

من البـداية لن يفيد الكـذب على الله سبحـانه وتعالى لأن الحقيقة ستنكشف حالاً: ستنطق الرجْلان اللتان سعيتا لمحلات اليهود، وستتكلم اليدان اللتان دفعتا المال لليهود.

والتبرير لن ينفع.

والأعذار على من؟!

إذاً لم يبق غير الصراحة، والصراحة أليمة ومُرَّة: لقد صرفت

---

(١) رواه الطبراني والبزار.

من مالِكَ ياألله على أعداء دينك ، لقد أعنت أفسق خلقك على قتل وسفك دمي ودماء بني ديني ، وشجعتهم على استمرار تدنيس قبلة المسلمين الأولى ومسرى رسولك الأمين ﷺ ، لقد آثرت أن أستمتع بالمأكل والملبس وغيرهما على حساب أرواح أهلي وإخواني في فلسطين والأردن ولبنان ومصر وسوريا والعراق .

حقًّا إنه لموقف عصيب لا يرضاه أيُّ مسلم لنفسه ، ولا يقبله المؤمن الراغب في لقاء الله سبحانه وتعالى بريء الذمة من أي شكل من أشكال معاونة أعداء الله سبحانه وتعالى ، ولا يفلح فيه سوى أن يكون قد تجنَّبه في الحياة الدنيا بعدم صرف الأموال فيما يعود بالكسب على أعداء الله ، وعلى كل ما يغضب الخالق جلَّ وعلا .

ويشكو العديدون ممَّن بتعاملون مع اليهود بأن التدقيق في البحث والتحري عن صاحب المحل فيه مشقة ، والدين يسر لا

وهذه هي الانهزاميَّة .

هل يريد المسلم أن يحيا حياةً كريمةً له ولأولاده ، أم يريد حياة ذلٍّ واستكانةٍ تحت سيطرة عدوٍّ ناقمٍ لا يرحم؟ لاشك أن المسلم عزيز كريم ، ومن أجل هذا فلن يضيره أن يلحظ هل المكان يهودي؟ وله أن يسأل أخاه أو صديقه ، فإن شكَّ «فدع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك»(١) ، ويمكن له الانتظار والصبر حتى تتحقق

---

(١) أخرجه النسائي وأحمد .

المعـرفـة، إلا أن يكـون بحـاجة لشيء قد ينتج عن تأخيره ضررٌ جسمانيٌّ كالدواء.

وقد يظنُّ المسلم أن دراهمه القليلة لن تؤثر في حجم مكاسب اليهود، وطالما هي كذلك فلا بأس من الشراء منهم.

وهذا خطأ فادح، فالمسلم لايحقرنَّ من الأمر شيئاً، فدراهمه القليلة تنضمُّ إلى دراهم قليلة أخرى فتصبح كثيرة، فلو علمنا أن مدينة مثل لندن يزورها في فصل الصيف فقط مليونان من العرب وحدهم، يمثلون قوةً شرائية رهيبة، لأيقنَّا خطورة التهوين من شأن الـدراهم القليلة تلك، ولو يعلِّل كل واحدٍ شراءه بهذا المفهوم، لكان هذا تهرباً من المسؤوليَّة، تلك المسؤوليَّة التي تجعل كل مسلم مسؤولاً عن تصرفاته شخصيًا، لا أن يتنصَّل منها ويلقي بها على الآخرين، تلك المسؤوليَّة التي لا بدَّ أن يتحملها كل فردٍ منا إن أردنا لأنفسنا ولأولادنا وللأجيال المسلمة القادمة ـ بإذن الله ـ القوة والمنعة والعزة.

وتوجد فئة من المتعاملين بالشراء من اليهود تقول: ولماذا نقاطع اليهود وحدهم، ولا نقاطع من هم وراء اليهود؟

وهذا شيء طيب لا نختلف فيه، إلا أن المقصود به هو إدخال الـموضـوع في نطاق الجـدل الهادف في نهايته إلى تعجيز المسلمين والوصول بهم إلى إباحة التعامل مع اليهود، إن تعذَّر مقاطعة من هم وراءهم.

إن هناك أولويَّات يجب البدء بها، هناك من يُطْبق كلتا يديه على رقبتي خانقاً إيَّاي، ومن خلفه مشجِّع له، فبأيهما أبدأ؟ بديهيٌّ أبـدأ بفكِّ القبضة القاتلة، هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ، عندما حارب المشركـين واليهـود المتحالفين ضده، يضرب طوق الخطر الـداهـم للمشركين أولاً، ثم يستدير لمقاتلة اليهود (كما حدث في غزوة الخنـدق)، أو يضرب اليهود أولاً (كما حدث في غزوة خيبر تمهيداً لفتح مكة).

وتجـد من يقـول بأن البـائعـين من اليهـود يحسنـون معاملة زبائنهم، على خلاف البائعين المسلمين الذين يسيئون معاملتهم.

وقد يكون هذا ملحوظاً على نطاقٍ ضيقٍ، لكنَّه لا يدفع المسلم إلى الابتعاد عن معاملة أخيه البائع، حتى لو كان مسلماً عاصياً، فهو خير من يهوديٍّ كافر.

كذلـك فإن من مهمَّـة المسلم تقديم النُّصح لأخيه البائع، فبينهما قاعدة مشتركة وهي الإسلام، وهـم يستمعون للنصح خاصةً إن جاء من أخٍ لهم يحرَص عليهم وعلى التعامل معهم.

وهذا يقودنا للحديث عن صفات التاجر المسلم.



رَسم يصوّر التبَادل التجَاري كيفَ نشتري مِن اليَهود ومن وَرائهم المَواد الاستهلاكية وهم يَربحون ويَستغلون هذه الأربَاح في تدمير البلاد الإسلامية وإهلاك المسلمين في لبنان وفلسطين .

صفات التّاجر المسلم[1]

منذ ظهور نور الإسلام والتجَّار المسلمون من أخلص وأفضل جنود الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

كان التجَّار من الصحابة الأبرار يساعدون في إعداد الجيوش الإسلاميَّة للغزوات المدافعة عن المسلمين، والناشرة لدين الله سبحانه وتعالى، ففي غزوة تبوك - مثلاً - جهَّز سيدنا عثمان بن عفَّان رضي الله عنه عشرة آلاف مقاتل، وجاء سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجميع ماله، وأحضر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله، وحمل سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عاتقه مئتي أوقية من الذهب ووضعها بين يدي الرسول ﷺ، وكانوا جميعاً من التجَّار.

وقام سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد ذلك بحمل المجاهدين في سبيل الله على ألفيْ فرس وراحلة.

والتجار المسلمون هم الذين نشروا الإسلام شرقاً وغرباً،

---

(١) وكل صاحب مهنة يتعامل مباشرة مع الناس.

فدخلت أمم بأكملها في دين الله تعالى بسبب نشاط وإخلاص تجَّار المسلمين، وفي كل مكان تجدهم يمدُّون الدعوة بالعون الماديِّ، وينشئون المساجد لعبادة الله الواحد الصَّمد، فبارك الله لهم في تجاراتهم، وجعلهم دائماً عوناً للإسلام والمسلمين.

ولقد حدَّد لنا الشرع الكريم صفات التاجر المسلم، ووضع للبيع أصولاً وحدوداً، إذا تحلىَّ المسلم بها والتزم، جعلته محبوباً من الناس، مرضيًّا عليه من الله سبحانه وتعالى، ونوجز هذه الصفات في الآتي:

١ ـ **السماحة وحسن الخلق**: وهما صفتان ضروريتان لكي تصفو العلاقة بين البائع والمشتري، فعن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلًا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلًا كان فيمن قبلكم أتاه المَلَكُ ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم. قيل له: انظر. قال: ما أعلم شيئاً، غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأُنْظِر الموسر[٢] وأتجاوز عن المعسرِ[٣]؛ فأدخله الله الجنَّة»[٤].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) أؤجل دين القادر.
(٣) أسامحه فيما عنده.
(٤) متفق عليه.

٢ ـ **الأمانة في البيع**: أن يُطلع المشتريَ على حقيقة البيع، فلا يخفي في سلعة، ولا يغشُّ في بضاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن رسول الله ﷺ مرَّ على صبرةٍ من طعام(١)، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله(٢)! قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه النَّاس، من غشَّ فليس منيّ(٣)»)(٤).

٣ ـ **الامتناع عن بيع الحرام**: مثل الخمر والخنزير، والتعامل بالربا.

أ ـ الخمر: قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنُوا إنَّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوهُ لعلَّكُم تفلحونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وعن عبد الرحمن بن وَعْلَةَ السبَئيِّ (من أهل مصر) أنه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عماً يُعصرمن العنب؟ فقال ابن عباس: إن رجلاً أهدى لرسول الله ﷺ راوية من خمر، فقال له رسول الله ﷺ: «هل علمت أن الله تعالى قد حرَّمها». قال: لا. قال: فسارَّ إنساناً(٥)، فقال له رسول الله ﷺ: «بما ساررته؟». فقال: أمرته ببيعها. فقال: «إن الذي حرَّم شربها

---

(١) الصبرة: ما جمع من الطعام بلا كيل ووزن والمراد بالطعام هنا القمح.

(٢) أصابته السماء: أي بالمطر.

(٣) أي ليس على سيرتي الكاملة وهديي ومن المحافظين على شريعتي.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) أي تحدث إليه سرًّا.

حرَّم بيعها». قال: ففتح المزادة[1] حتى ذهب ما فيها[2].

وقد سبق ذكر حديث لعن الخمر على عشرة أوجه.

ب ـ **الخنزير**: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنَّما حرَّمَ عليكمُ الميتةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهِلَّ لغيرِ الله به...﴾ [النحل: ١١٥]، وقول الرسول ﷺ عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»[3].

جـ ـ **الربا**: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تأكُلوا الرِّبا أضْعافاً مُضاعفةً واتَّقوا اللهَ لعلَّكم تُفلحونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، ويقول تعالى: ﴿الذينَ يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلا كما يقومُ الذي يتخبَّطهُ الشَّيطانُ من المسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ويقول جل من قائل: ﴿وما آتيتُم مِن رباً ليربُوَ في أموالِ الناسِ فلا يربُو عندَ اللهِ﴾ [الروم: ٣٩].

وعن جابر رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: «هم سواء»)[4].

والسبب وراء منع التعامل فيما حرَّم الله سبحانه وتعالى هو أن التاجر المسلم لا يبيع ما يضرُّ المشتري، ويتسبَّب في فساد المجتمع وتخريبه.

---

(١) القربة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

٤ ـ الحَلِفُ في البيـــع: قال الله تعــالى: ﴿واحفَــظُوا أيمانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وعن أبي قَتادة الأنصاريِّ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إيَّاكم وكثرةَ الحلفِ في البيعِ فإنَّه يُنَفِّقُ[١]، ثم يَمْحَقُ»[٢].

٥ ـ التسعير: (وهو تحديد ثمن للسلعة)، فعن أنس رضي الله عنه قال: غلا السِّعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! سعِّر لنا[٣]. فقال: «إنَّ الله هو المسعِّرُ، القابض الباسط، وإني لأرجو أن ألقى ربِّي وليس أحد يطالبني بمظلمةٍ في دمٍ ولا مال»[٤]، ويبدو أن الرسول ﷺ خشي أن يقع ظلم في تقدير السعـر على البـائـع أو المشتري، وإن كان التسعير في بعض الحـالات ضروريًّا لمصلحـة المسلمـين إذا قامت لجان مختصة بالعدل بين الطرفين(٥).

٦ ـ استيفـاء الـوزن والكيل: وقد حذَّر الله سبحانه وتعالى كلا

---

(١) يدفع للنفاق.

(٢) رواه مسلم.

(٣) حدِّد لنا الأسعار.

(٤) رواه الترمذي وأبو داوود وابن ماجة.

(٥) «مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف» ـ عبد البديع صقر ـ ص ٢٩١.

البائع والمشتري من التعدِّي على حقوق الآخر: ﴿ويلٌ للمطفِّفينَ * الذينَ إذا اكْتالوا على النَّاسِ يسْتَوْفونَ * وإذا كالوهُم أو وَزَنوهم يُخسِرونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

٧ - **وقف البيع في أوقات الصلاة**: في أثناء وقت صلاة الجمعة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا إذا نُودِيَ للصلاةِ مِن يومِ الجُمُعةِ فاسْعَوا إلى ذكرِ الله وذَروا البيعَ ذٰلكم خيرٌ لكم إن كنتُم تعلمونَ * فإذا قُضيَتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرضِ وابتَغوا مِن فضلِ الله واذْكُروا الله كثيراً لعلَّكم تفلحونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

أما في باقي الصلوات فلقد كان الرسول ﷺ قد رخَّص لرجلٍ أعمى أن يصلي في بيته بدلاً من المسجد، ولكنه عاد فقال له: «هل تسمع النداء بالصلاة»؟ فقال: نعم. قال: «أجب»[1].

والمسلمون مطالبون بالتعامل مع إخوانهم البائعين والتُّجار، والتجاوز عمّاً يقع بين الإخوة من أمور غير مقصودة، وبتقديم النُّصح لهم فيما يقوِّمُ من شأن العلاقات بين البائع والمشتري، وأخيراً بشكرهم على توفير ما يحتاجه المشتري، فبدونهم يتحمَّل المشتري مشقةً وعَنَتاً بالغَينْ.

---

(١) رواه مسلم وأبو داوود والنسائي وابن ماجة وأحمد.

الخُلاصَة

أيهُّا المسلمون المخلصون الصادقون: إن تحرير القدس الشريف، وفلسطين الحبيبة، يحتاج إلى نكرانٍ للذات، وتضحيات بالنفس والمال، ولن ينصلح حال هذه الأمة إلّا بما انصلح به حال أولها، وها هو أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفتح القدس وفي ثوبه أربع عشرة رقعة!! واشترط عليه أهلها ألا يقيم فيها اليهود، وقطعاً لن يأتي تحرير القدس من سيطرة اليهود بارتداء ملابس اليهود أو بالتعامل معهم.

لقد أعلن زعيم اليهود[1] ـ وفي ذهنه أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحريم القدس على اليهود ـ «أيها الناس: لقد تحرَّرت القدس وإلى الأبد»!! يقصد من حكم المسلمين.

وما احتلال القدس وكلِّ فلسطين إلا جزء مما يتوعدنا به رئيس اليهود حينما قال: (مهمتنا سحق الحضارة الإسلامية وإحلال الحضارة العبريَّة محلَّها)[2].

---

(١) مناحم بيغن في التلفزيون البريطاني ـ أغسطس ١٩٨١م.

(٢) هذه أول مرة أسمع فيها بوجود حضارة يهودية.

والآن وقد نُحِّيت الجماهير المسلمة عن قضية فلسطين، فإن أقلّ ما يمكن القيام به لنعلن رفضنا لهجمة اليهود العنيفة علينا هو الإحجام عن التعامل التجاري مع يهود، والامتناع عن الشراء من محلاتهم ومؤسساتهم.

إن إسرائيل الآن بها أزمة اقتصادية خانقة، فالتضخم المالي لديها لم يحدث له مثيل في العالم، وأسعار أساسيات المعيشة فيها باهظة، والهجرة متوقفة، وتمزقها الداخليُّ وشيك الوقوع بإذن الله، وما يمنعها من الغرق إلى أسفل قرار إلَّا تلك المساعدات التي يبعثها لها اليهود من مختلف بلاد العالم، فهلَّا توقف المسلمون - فرادى وجماعاتٍ - عن المساهمة في هذه المساعدات بتوقفهم عن الشراء من هؤلاء اليهود، لعلنا نرى نهاية دولتهم عن قريب إن شاء الله تعالى؟

والمسلمون وقد أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بكل النعم التي تتمناها الأمم، وتدفَّق المال بين أيديهم بدون عدٍّ أو حساب، لابدَّ وأن يكون لديهم رغبة حقيقية في استخدام هذا المال في خدمة دينهم وأوطانهم وقضاياهم، ولو استعملوا جزءً من هذا المال في إقامة المشاريع المختلفة بما فيها المؤسسات الصناعيَّة والتجاريَّة في بلادهم وفي البلاد الأخرى التي يتواجد فيها مسلمون، وطبَّقوا شرع الإسلام في البيع والشراء، وأجزلوا للمستخدمين فيها العطاء، لتحوَّل الناس إليهم، ولعاد ذلك عليهم بالأرباح الكبيرة، ولانحسر اقتصاد اليهود وقد ينهار، فتضعف قبضتهم على تلك الشعوب والحكومات التي يستغلُّونها لمصالحهم العدوانية، ولَنَضَب

مصدر رئيسيٌّ من مصادر مدِّ إسرائيل بالمال.

إن من حقِّ إخواننا في الأراضي التي يدنِّسها اليهود بوجودهم، ويرتعـون فيها حرقاً وتدميراً، أن نقف معهم مساندين ومعينين، فالله سبحـانـه وتعالى يقول: ﴿إنَّما المؤمِنونَ إِخوةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول رسوله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»[١].

فهل نحن فاعلون؟

(١) الذمة: الأمان «مختار الصحاح» ـ رواه أحمد والنسائي وأبو داوود.

أهمّ المراجع

١ ـ مختصر تفسير ابن كثير ـ محمد علي الصابوني ـ دار القرآن الكريم ـ دمشق وبيروت.

٢ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة.

٣ ـ أسباب النزول ـ الواحدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤ ـ مفتاح كنوز السنة ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور.

٥ ـ كتب الأحاديث النبوية المعتمدة.

٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ لابن قيِّم الجوزيَّة ـ المطبعة المصريَّة ومكتبتها ـ القاهرة.

٧ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ ـ للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ المطبعة السلفيَّة ـ القاهرة.

٨ ـ المحلىّ لابن حزم ـ المطبعة المنيريَّة ـ القاهرة.

٩ ـ من معارك الإسلام الفاصلة: ٤ ـ غزوة بني قريظة ـ محمد أحمد باشميل ـ دار الفكر.

١٠ ـ جهاد المسلمين في الحروب الصليبيَّة ـ د. فايد حمّاد محمد

عاشور ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١١ ـ النظام السياسي في الإسلام ـ د. محمد عبد القادر أبو فارس ـ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان .
١٢ ـ الإخوان المسلمون ـ أحداث صنعت التاريخ ـ الجزء الأول ـ محمود عبد الحليم ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية .
١٣ ـ مجلة الدعوة القاهرية .
١٤ ـ صور من حياة الصحابة ـ د. عبد الرحمن رأفت الباشا ـ مؤسسة الرسالة ودار النفائس .

محتويات

* * * * *